الجندية والإمارة
آداب وصفات

القائد أشرف التعزي (خالد بن غالب الحمودي)



بيت المقدس



1443 هـ 2021 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

الجندية والإمارة

آداب وصفات

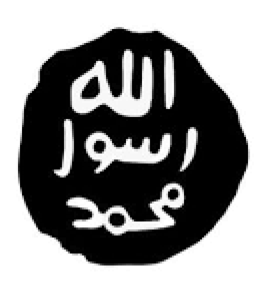
بقلم القائد:

أشرف التعزي

(خالد بن غالب الحمودي)

- رحمه الله -

مع مجموعة إضافات لإتمام الفائدة



بيت المقدس

الفهرس

توضيح وتقديم الناشر

الحمد لله، وبعد..

فهذه رسالة جمعها القائد الشهيد كما نحسبه: "أشرف التعزي"، والذي كان مسؤولًا للعمل الخارجي في جماعة قاعدة الجهاد في جزيرة العرب، وتناول فيه موضوع الجندية والإمارة.

وقد استشهد – تقبله الله – بقصف أمريكي قبل أكثر من ثماني سنوات من تاريخ نشر هذا الكتاب.

ولإتمام الفائدة، وتكميل المعلومة؛ فقد تم إضافة بعض النقاط والآثار وكلام العلماء، فوقَ كلام المؤلف الأصلي، وكل ما تم إضافته من خارج كلام الشهيد –تقبله الله–؛ فقد تم تمييزه بذكر عبارة: "الإضافة" قبله.

والله سبحانه المسؤول أن ينفع بهذه الرسالة عموم المسلمين والمجاهدين.

والله الموفق.

مقدمة

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ومن ولاه... اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا واغفر لنا وارحمنا وأهدنا صراطك المستقيم.

أما بعد...

إن الجهاد من أفضل الأعمال الصالحة وهذه العبادة تحتاج إلى كثير من الجهد والتضحية. والجهاد من الأعمال الجماعية التي تحتاج إلى قيادة وجنود وتحتاج إلى تنظيم العلاقة بين الأمير وجنوده، وقد نظمها رسول الله ﷺ وبيّن لنا ما يجب على الجنود تجاه الأمير، وما يلزم الأمير تجاه جنوده، وهذه العلاقة ذات دور كبير في نجاح الجماعة المجاهدة أو فشلها، وقد ضرب الله سبحانه وتعالى لنا مثالين لجماعتين في كتابه الكريم وبيّن لنا أثر السمع والطاعة والجندية في نجاح الجماعة أو إخفاقها. وهاتين الجماعتين هما:

الأولى: جماعة بني إسرائيل وعلاقتهم بموسى عليه السلام. وضرب بهم مثلا للجندية السيئة، وفصل في أقوالهم وأعمالهم كي يعطي صورة عن الجنود العاصين الذين لا يسمعون لقيادتهم وإن سمعوا لا ينفذون، والشواهد على ذلك كثيرة، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام:

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾. فقالوا: حنطة. ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾. فقالوا: ما لونها؟ ﴿ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾. فقالوا: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾. لذلك كانت

نهايتهم التيه في صحراء سيناء عقابا من الله لهم لعدم استجابتهم لأمر الله وأمر رسوله وخسروا التمكين لأنهم عطلوا أسبابه.

الثانية: جماعة الصحابة ﵃، وهم أصحاب مُحَمَّد ﷺ: وقد كانت ميزتهم طاعة الرسول ﷺ وتنفيذ أوامره، لذلك فقد استطاع الرسول مُحَمَّد ﷺ أن يحقق بهم عدة انتصارات في الأرض، أبرزها إقامة الدولة الإسلامية في المدينة والتمكين للأمة الإسلامية. لقد اتفق الرسولان مُحَمَّد وموسى عليهما السلام في أنهما رسولان من أولي العزم من الرسل وأنهما أنزل عليهما كتابان، واختلفا في أن مُحَمَّد عليه السلام فتح الجزيرة العربية كلها خلال عشر سنين، وموسى عليه السلام؛ أن يفتح فلسطين، والسبب في أن بني إسرائيل كانوا مثالا للجنود العاصين، في حين أن الصحابة ﵃ كانوا مثالا للجنود المطيعين.

فما هي الآداب التي يجب أن يتحلى بها الجنود حتى تنجح الجماعة المسلمة في تحقيق أهدافها؟

أولًا: الجندية

كثيرة هي الآداب التي يجب أن يتحلى بها الجندي المسلم تجاه أميره فبعضها شرعية وبعضها أخلاقية منها ما يلي:

الأدب الأول: الإخلاص الجندية وطاعة الأمير عبادة لله تعالى

أمر بها الباري عز وجل. والدليل على أنها عبادة أمر الله بها قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59] وقال رسول الله ﷺ: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني". رواه مسلم. وبما أنها عبادة فهي قائمة على ركنين، الإخلاص والمتابعة، والدليل على وجوب الإخلاص فيها حديث أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه". متفق عليه؟ فليست الطاعة إتباعا لهوى النفوس ورغباتها بل لامتثال أمر الله عز وجل وإن خالف الرغبات والأهواء وبغض النظر عن ميل القلب للأمير أو الرغبة عنه وهذا من صور الطاعة في المنشط والمكره.

وقوم يرون الحق نصر أميرهم ويرون طاعة أمره إيمان.

الأدب الثاني: السمع والطاعة للأمير

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك) رواه أحمد ومسلم. فقدم السمع على الطاعة لأن الطاعة يجب أن تكون نتيجة السمع الواعي. وروى الترمذي عن الحارث الأشعري ﵁ أن النبي ﷺ قال: "إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها" إلى أن قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وأنا أمركم بخمس الله أمرني بهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة" حديث صحيح.

الأدب الثالث: رد الأمور إلى الأمير

قال تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:83].

هذا تأديب من الله لعباده على فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة. تفسير السعدي.

الأدب الرابع: احترام الأمير

عن زياد بن كسيب العدوي قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق فقال أبو بلال: أنظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق فقال أبو بكرة اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله" رواه الترمذي وهو حديث صحيح. فلابد للأمير من احترام وتقدير وعدم احترام الأمير قد تكون بعصيان أوامره والاستخفاف بها، أو بالسخرية من الأمير بالقول والغمز واللمز أو بوصفه بصفة خلقية أو خلقية فيه تدعو للاستخفاف به، أو بمدح غيره بما فيه تعريض بالذم لهذا الأمير، أو بتشجيع الآخرين على عدم احترام الأمير وعصيانه.

الأدب الخامس: عدم الإفتيات على الأمير

لا ينبغي لأحد من الجنود أن يأمر أو ينهي أو يفصل في أي أمر صغيرا كان أو كبيرا في حال وجود الأمير ولا حتى في غيابه إلا إذا فرضه الأمير بذلك، والعرب تقول: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي لا تعجل بالأمر والنهي دونه.

إضافة:

والمقصود بهذا الأدب الرد إلى الأمير فيما هو من شؤونه، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلا﴾ [النساء: 83].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره (190): "هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولَّى مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان؟ أم لا فيحجم عنه؟" انتهى.

إذا كان النهي عن العجلة في مجرد الإفشاء والإخبار حتى يرد إلى ذوي الأمر وأصحاب الشأن فمن باب أولى في اتخاذ القرار دونهم والقفز على صلاحياتهم والافتئات عليهم.

الأدب السادس: الصبر على الأمير

قال النبي ﷺ: "من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه ليس أحد فارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية" متفق عليه. يكرهه: يعني من أمور

الدنيا ومن أمور الدين ما لم يصل إلى حد الكفر البواح. فإنه من فارق الجماعة: جماعة المسلمين، شبرا فمات إلا مات ميتة الجاهلية: يعني فيه خصلة من خصال الجاهلية قد مات عليها ولا يعني أن يكون بذلك قد خرج عن دائرة الإسلام وصار جاهليا لا إنما فيه خصلة من خصال الجاهلية. شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري للشيخ الدكتور عبد الكريم الخضير حفظه الله.

الأدب السابع: الاستئذان

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 92]. والأمر الجامع الأمر الهام الذي يقتضي اشتراك الجماعة فيه، لرأي أو حرب أو عمل من الأعمال العامة. فلا يذهب المؤمنون حتى يستأذنوا إمامهم أو أميرهم. كي لا يصبح الأمر فوضى بلا وقار ولا نظام. وهؤلاء الذين يؤمنون هذا الإيمان، ويلتزمون هذا الأدب، لا يستأذنون إلا وهم مضطرون؛ فلهم من إيمانهم ومن أدبهم عاصم ألا يتخلوا عن الأمر الجامع الذي يشغل بال الجماعة. ويستدعي تجمعها له ومع هذا فالقرآن يدع الرأي في الإذن أو عدمه للرسول ﷺ رئيس الجماعة. بعد أن يبيح له حرية الإذن: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾.

الأدب الثامن: النصح للأمير

عن تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال الله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم" رواه مسلم. قال الإمام

النووي رحمه الله تعالى: "وأما النصيحة الأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين". أه.. ولا يلزم الأمير الأخذ بالنصيحة ما دامت في المباح ولم تكن مخالفة شرعية أو ضرر متحقق فقد يظن الناصح أن رأيه أولى بالصواب والأمر على خلاف ذلك.

الأدب التاسع: الصدق مع الأمير

ولنا في قصة الثلاثة الذين خلفوا عبره وعضه كما قال كعب ﵁ حاكيا حاله مع رسول الله ﷺ حيث قال: فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال: "ما خلفك ألم تكن ابتعت ظهرك" فقلت بلى يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر فإني أعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كاذبا ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو عفو الله لا والله ما كان بي عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال رسول الله ﷺ: "أما هذا فقد صدق قم حتى يقضي الله فيك" متفق عليه.

الأدب التاسع: عدم سؤال الإمارة والتطلع إليها

عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي النبي ﷺ: "يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها". متفق عليه وعن أبي موسى ﵁ قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من قومي فقال أحد الرجلين أمرنا يا رسول الله وقال الآخر مثله فقال: "إنا لا نولي هذا من سأله ولا من حرص عليه" رواه مسلم.

ثانيًا: الإمارة

قال عمر بن الخطاب: "إنه لا إسلام إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة". فإنه لا يصلح حال الجماعة إلا بإمارة وأمير يسمع له ويطاع ولابد للأمير من ضوابط وأخلاق وآداب تنضبط بها معاملته وتعاملاته. وهذه الإمارة منها العامة والخاصة فكل من ولي شيئا من أمور المسلمين بحق فهو ولي أمر تجب طاعته في المعروف وعليه التزام الحقوق والآداب الشرعية قال عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

فهذه الآية الكريمة تعلمنا بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها الأمير في تعامله مع الجند.

الصفة الأولى: اللين والرحمة

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ أي: برحمة الله لك ولأصحابك، من الله عليك أن النت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك. ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ وغلظة القلب وما تنطوي عليها من قسوة شديدة تتحول مع الوقت إلى سمة وقسمات جامدة ترتسم على وجه مثل هذا الأمير لدرجة تجعل من نظراته القاسية وليس من كلماته فقط - سهامة حادة تخمد أي محاولة للإبداع أو الانطلاق أو الابتكار في نفوس من حوله خاصة إذا كانت لا تتمشي مع رأيه وهواه، ومع الوقت تحول من حوله إلى مجرد أتباع خائفين مرتعشين مترددين، أو

منافقين مسبحين لحمده ومرددين لما يقول، وفي جميع الأحوال تؤدي تلك الصفة إلى حالة من النفور النفسي من الجند لأميرهم تجعلهم ينفرون منه ولا يربطهم به إلا القهر، فإذا كان لهم الخيرة من أمرهم فسوف ينفضون عنه لا محالة.

إضافة:

عن عبد الرحمن بن شماسة قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئا، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد، ويحتاج إلى النفقة، فيعطيه النفقة، فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في مُحَّد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ، يقول في بيتي هذا: «اللهم، من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم، فارفق به» رواه مسلم (1828).

عن أبي إسحاق عن أبيه قال: كنا مع جرير بن عبد الله في غزوة فأصابتنا مخمصة فكتب جرير إلى معاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله» قال: فكتب معاوية أن يقفلوا قال ومتعهم، قال أبو إسحاق: فأنا أدركت قطيفة مما متعهم" رواه أبو داود الطيالسي (697).

عن عقبة قال: كان عمر بن عبد العزيز يقول: «إن من أحب الأمور إلى الله القصد في الجدة، والعفو عند المقدرة، والرفق في الولاية، وما رفق عبد بعبد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة» رواه هناد في الزهد (603/2).

الصفة الثانية: العفو والصفح

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ وذلك أن أي عمل لن يخلو من خلاف أو تقصير أو خطا من جانب الجند فإذا لم يتعلم الأمير كيف يعفو ويتسامح بشكل إيجابي وفعال ويتناسى هذا الخطأ بمجرد علاجه ويذكر صاحبه بضرورة الإقلاع عنه والندم عليه، فإن الأمر يكون من القسوة والشدة على نفس المخطئ لدرجة تجعله يستشعر الخجل من نفسه والتواري عن الأنظار، بل والإحجام عن أي محاولة للمشاركة الفعالة أو إبداء الرأي حتى وإن كان صوابا، خاصة إذا لم يحجم الأمير عن تذكير الجند من وقت لأخر بعيوبه وأخطائه وتأنيبه عليها وسخريته منها. إن اسوا الأمراء هو ذلك الذي ينكر جنوده بأخطائهم ونقاط ضعفهم من وقت لأخر.

إضافة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولا كانوا أو شبانا»، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: «فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر»، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وإن هذا من الجاهلين، «والله ما

جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله» رواه البخاري (4642).

عن ابن سابط قال: بلغ عمر ﷺ عن بعض عماله شيء، فجمعهم فخطبهم فقال: " أيتها الرعية، إن للرعاة عليكم حقا: المناصحة بالغيب، والمعاونة على الخير، ألا وإنه ليس شيء أحب إلى الله من حلم إمام عادل ورفقه، ولا جهل أبغض إلى الله من جهل إمام جائر وخرقه، ومن يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يعط العافية من فوقه ".

الصفة الثالثة: الدعاء والاستغفار لهم

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ إن هذا الأمر على وجه الخصوص يعتبر من الأمور التي لا يمكن أن يتصف بها إلا الأمير المؤمن. لأن الأمر هنا تخطى مرحلة الرسميات ووصل إلى مرحلة القلوب والعواطف الشغوفة والحب الشديد الذي يجعل الأمير لا يكتفي بالعفو فقط عن أخطاء أتباعه، وإنما يحرص على أن يستغفر لهم الله كي يعفو عنهم أيضا، ولا شك أن ذلك لا يكون إلا من قلب نقي، رقيق، سليم، محب لمن حوله، رحيم، بل إن مجرد هذا الاستغفار الذي لا يكون إلا بين المرء وربه يترك أثرا طيبا في نفس كل من الأمير والجند دون أي تدخل مباشر وهذه لغة القلوب، التي لا يعلمها إلا الله، ولك أن تجرب ذلك.

الصفة الرابعة: المشاورة وأخذ الرأي

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه مع كمال عقله وسداد رأيه امتثالا الأمر الله تعالى وتطييبا لنفوس أصحابه وفي الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصرها منها:

1. أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله.
2. أن فيها تسميحا لخواطر أصحابه، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر على الناس - إذا جمع أهل الرأي والفضل وشاورهم في حادثة من الحوادث اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبذلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير تامة. أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول.

ما تنتجه الاستشارة من الرأي المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب، فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم- وهو أكمل الناس عقلا وأغزرهم علما، وأفضلهم رأيا-: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فكيف بغيره؟!

الصفة الخامسة: التعرف على قدرات الجند

إن من أفضل صفات الأمير القدرة على الاستفادة من مكامن التفوق والتميز لدى الجند بأفضل ما يمكن، ولكي يتحقق هذا كان لزاما على القائد ضرورة معرفة وتمييز هذه المكامن لدى الجند وتوظيفها التوظيف السليم.

الصفة السادسة: تفقد أحوالهم

ينبغي للأمير أن يتفقد أحوال جنوده بين الوقت والأخر وأن لا يغفل عنهم وأن يساعدهم في حل مشاكلهم الخاصة فقد كان رسول الله ﷺ يتفقد أحوال أصحابه، يسأل عن غائبهم ويزور مريضهم، ويعود من اشتكى منهم وهذا من شأنه أن يرفع رصيد محبة الأمير في قلوب جنوده فالناس تحب من يحسن إليهم.

الصفة السابعة: تعليمهم

كان النبي ﷺ يتعهد أصحابه بالتعليم والتربية، وتزكية النفوس، والحث على مكارم الأخلاق، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة. سأله رجل: أي الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف". متفق عليه. وكان يقول: "لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه". رواه مسلم. ويقول: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده". متفق عليه. ويقول: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". رواه مسلم. ويقول: "المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" رواه مسلم. ويقول: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" متفق عليه. ويقول: "لا تباغضوا، ولا تحاسدا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث" متفق عليه. ويقول: "ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا" رواه البخاري. ويقول: "يا غلام إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه

الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف" رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

إضافة:

روى الدارمي وغيره عن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: "إن أمير المؤمنين عمر بعثني إليكم أعلمكم كتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم ﷺ، وأنظف لكم طرقكم".

وروى الإمام أحمد (286) عن أبي فراس، قال: خطب عمر بن الخطاب فقال: ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم".

الصفة الثامنة: تحمل المسئولية وتنظيم شؤون الجماعة

عن أبي ذر قال قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: "يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدي الذي عليه فيها"، فالإمارة أمانة ووجاهه وعلى الأمير أن يحرص على أن لا يكون نصيبه من الإمارة الوجاهة فقط فإنها يوم القيامة خزي وندامة. وعلي الأمير أن ينظم شؤون جماعته الدينية والدنيوية وأن لا يترك الأمر سيهلله ومثال ذلك أن يختار مؤذنا وإماما للجماعة وأن يعين أميرا للسرايا والبعوث وكذلك يعين نائبا في حال غيابه.

ومن صور تنظيم شؤون الجماعة:

1. أخذ أتباعه بطاعة الله ومنعهم من المعاصي. كما كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص؛ رضي الله عنهما ومن معه من الأجناده في مسيرهم لقتال الفرس؛ أما بعد: "فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال؛ فإن تقوى الله أفضل العدّة على العدوّ، وأقوى المكيدة في الحرب. وآمرك ومن معك أن تكونوا أشدّ احتراسا من المعاصي، منكم من عدوّكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوّهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوّهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدّتنا كعدّتهم، فإذا استوينا في المعصية، كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا، لم نغلبهم بقوتنا. واعلموا أن عليكم في مسيركم حفظة من الله، يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله؛ ولا تقولوا إن عدوّنا شر منا فلن يسلّط علينا، وإن أسأنا؛ فربّ قوم سلّط عليهم شر منهم، كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفّار المجوس، فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَكانَ وَعْداً مَفْعُولًا. اسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم. أسأل الله ذلك لنا ولكم.
2. أن يتفقد بنفسه مهماتهم وأسلحتهم من حيث كفايتها وصلاحيتها.
3. أن يتفقد بنفسه مكان إقامتهم ومبيتهم وطعامهم.
4. أن يعين عددا كافيا من الحرس بالليل والنهار، ويتناوب أكثرُ من فرد الحراسة ليلا خشية النعاس.

5. أن يفضي الأمير النزاعات بين أتباعه أو يعين لهذا من ينوب عنه» وعليه أن يعاقب المسيء وحده لا يتعداه إلى غيره؛ لقوله تعال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

إضافة:

قال الماوردي في الأحكام السلطانية في ذكر مهام أمير الجهاد والحرب عند المسير ص (69): "وعليه في السير بهم سبعة حقوق:

أحدها: الرفق بهم في السير الذي يقدر عليه أضعفهم وتحفظ به قوة أقواهم، ولا يجد السير فيهلك الضعيف ويستفرغ جلد القوي، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم: "هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وشر السير الحقحقة" وروي عن النبي -ﷺ- أنه قال: "المضعف أمير الرفقة" يريد أن من ضعفت دابته كان على القوم أن يسيروا بسيره.

والثاني: أن يتفقد خيلهم التي يجاهدون عليها وظهورهم التي يمتطونها، فلا يدخل في خيل الجهاد ضخما كبيرا، ولا ضرعا صغيرا، ولا حطما كسيرا، ولا أعجف زارحا هزيلا؛ لأنها لا تقي وربما كان ضعفها وهنا، ويتفقد ظهور الامتطاء والركوب، فيخرج منها ما لا يقدر على السير ويمنع من حمل زيادة على طاقتها، قال الله -تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60].

والثالث: أن يراعي من معه من المقاتلة وهم صنفان: مسترزقة ومتطوعة، فأما المسترزقة فهم أصحاب الديوان من أهل الفيء والجهاد، يفرض لهم العطاء من بيت المال من الفيء بحسب الغنى والحاجة.

وأما المتطوعة فهم الخارجون عن الديوان من البوادي والأعراب وسكان القرى والأمصار الذين خرجوا في النفير الذي ندب الله -تعالى- إليه بقوله: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 41].

وهؤلاء يعطون من الصدقات دون الفيء من سهم رسول الله -ﷺ- المذكور في آية الصدقات.

والرابع: أن يعرف على الفريقين العرفاء، وينقل عليهما النقباء؛ ليعرف من عرفائهم ونقبائهم أحوالهم ويقربون عليه إذا دعاهم، فقد فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذلك في مغازيه وقال الله -تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13].

والخامس: أن يجعل لكل طائفة شعارا يتداعون به ليصيروا متميزين وبالاجتماع متظافرين.

روى عروة بن الزبير عن أبيه: أن النبي -ﷺ- جعل شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عبيد الله، وسمى خيله خيل الله.

والسادس: أن يتصفح الجيش ومن فيه؛ ليخرج منهم من كان فيه تخذيل للمجاهدين وإرجاف للمسلمين، أو عينا عليهم للمشركين.

فقد رد رسول الله -ﷺ- عبد الله بن أبي ابن سلول في بعض غزواته لتخذيله المسلمين، وقال -تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ﴾ [البقرة: 193].

أي لا يفتن بعضكم بعضا.

والسابع: أن لا يمالئ من ناسبه أو وافق رأيه ومذهبه على من باينه في نسب أو خالفه في رأي ومذهب، فيظهر من أحوال المباينة ما تفرق به الكلمة الجامعة -تشاغلا بالتقاطع والاختلاف، وقد أغضى رسول الله -ﷺ- عن المنافقين وهم أضداد في الدين، وأجرى عليهم حكم الظاهر حتى قويت بهم الشوكة وكثر بهم العدد وتكاملت بهم القوة، ووكلهم فيما أضمرته قلوبهم من النفاق إلى علام الغيوب المؤاخذ بضمائر القلوب.

قال الله -تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46]". انتهى باختصار.

الصفة التاسعة: المحافظة على وحدة الجماعة

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال". رواه مسلم. ومن أسباب العصمة من الاختلاف ما ذكره النبي ﷺ في الحديث المشهور: "أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبدٌ؛ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ،

وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعةٍ ضلالةٌ" رواه الترمذي عن العرباض بن سارية وقال حديث حسن صحيح.

ومن أسباب العصمة من الاختلاف

1. أن لا يمالئ من ناسبه أو وافق رأيه ومذهبه على من باينه في نسب أو خالفه في رأي ومذهب حتى لا تفترق الكلمة. بل يسوي بين أتباعه في المعاملة.
2. أن يبين لأتباعه ما التبس من الأمور حتى يقطع القيل والقال. ومن هذا فِعْل النبي صلى الله عليه وسلم لما قسم غنائم حنين فأعطى المؤلفة قلوبهم ولم يعط الأنصار فوجدوا في أنفسهم فخطبهم النبي صلى الله عليه وسلم وبَيّن لهم الحكمة فيما فعله.
3. ألا يسمح بالجدال والنقاش الذي يؤدي إلى تفرقة الكلمة. عن جندب بن عبدالله قال رسول الله ﷺ: "اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه" البخاري.
4. ألا يسمح بتكوين تحزبات داخل الجماعة؛ بما يفرق الشمل ويزرع الخصومات ومن التجمعات المذمومة: التجمعات العصبية التي تُعْلِي رابطة النسب أو غيرها على رابطة الإسلام. وهي التي قال فيها رسول الله ﷺ: " وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أو يَدْعُو إِلى عَصَبَةٍ، أو يَنْصُرُ عَصَبَة، فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ". رواه مسلم ومنها أيضا:

التحزبات الدينية: كالتعصب لمذهب فقهي أو شيخ أو رأي في الدين وغير ذلك.

5. أن يبعد من يخشى ضرره ممن معه من الأعضاء بعد استشارة أهل مشورته؛ كمن: يسعى بالنميمة والوقيعة بين الناس أو مَنْ يسبب ضررا لاستمرار عمل الجماعة ونحو ذلك.

6. ألا يستأثر بشيء دون أتباعه حتى لا تتغير القلوب عليه؛ فعليه أن يأكل مما يأكلون وينام كما ينامون ويركب كما يركبون أو دونهم؛ ولا يخص نفسه بشيء من المتاع دونهم إلا ما تستدعيه ضرورة عمله.

الصفة العاشرة: العدل بينهم

عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه منها إلا عدله". على الأمير أن ينصف أتباعه بعضهم من بعض. فإذا وقعت خصومات بين أتباعه فعليه أن يفصل فيها بنفسه أو يعين نائبا عنه للمظالم ينصف المظلوم ويأخذ على يد الظالم بالزجر والتعزير لتصير الأمور بالعدل منضبطة؛ ونقمة الرب عن الجند مرتفعة:

فإذا كانت الخصومة بين الإخوة المسلمين في حق بعضهم بعضا فالإصلاح أولى من العقوبة وعلى الأمير أو نائبه أن يعظ المتخاصمين ويذكرهم بفضل بعضهم على بعض وأن يتناسوا حظوظ أنفسهم خاصة في ساحة الجهاد؛ والإصلاح أنفع من العقوبة في إزالة الشحناء والبغضاء قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصوم والصلاة والصدقة؟" قالوا بلى يا رسول الله؟ قال: "إصلاح ذات البين"

وفساد ذات البين الحالقة" رواه الترمذي وصححه عن أبي الدرداء. والحالقة أي التي تحلق الدين.

وأما إذا كان الخلاف في الصلاحيات الإدارية فعلى الأمير أن يفصل بينهم أول بأول بما فيه مصلحة الجماعة.

الصفة الحادي عشر: الصبر على أذى الجند

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناسا في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة مثل ذلك وأعطى أناسا من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله. فقلت: والله لأخبرن النبي ﷺ. فأتيته فأخبرته فقال: "فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله، رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر". رواه البخاري. فعلى الأمير أن يصبر على جنوده وأن يتعامل معهم كما يتعامل الأب مع أبنائه فهو محط أنظارهم ومركز دائرتهم وعليه أن يستوعب أي فرد يكون تحت إمرته فإن الخلاف بين الأمير وجنوده يحط من قدره وتصعب عليه أمره.

صفات أخرى مضافة:

الصفة الثانية عشر: النصح للجند والحفاظ عليهم:

عن أبي المليح أن عبيد الله بن زياد عاد معقل بن يسار في مرضه، فقال له معقل: إني محدثك بحديث لولا أني في الموت لم أحدثك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم، وينصح، إلا لم يدخل معهم الجنة» رواه مسلم (142).

وفي رواية (142) "ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة".

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرا على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا" رواه مسلم (1731).

قال البيهقي في السنن الكبرى (70/9): "باب ما على الوالي من أمر الجيش.

قال الشافعي رحمه الله: "ولا ينبغي أن يولي الإمام الغزو إلا ثقة في دينه، شجاعا ببدنه، حسن الأناة، عاقلا للحرب بصيرا بها، غير عجل ولا نزق، ويتقدم إليه أن لا يحمل المسلمين على مهلكة بحال" .

الصفة الثالثة عشر: عدم التميز عن الجند:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل: يا ابن عبد المطلب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «قد أجبتك». فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك؟ فقال: «سل عما بدا لك»...." رواه البخاري(63) .

قال الطرطوشي في سراج الملوك معلقا (ص 50) "دل الأثر على أنه (أي النبي ﷺ) ما استأثر بشرف المجلس ولا باينهم بزي ولا مقعد" انتهى.

وعن أسلم مولى عمر رضي الله عنه قال: "أصاب الناس سنة غلا فيها السمن، فكان عمر رضي الله عنه يأكل الزيت فيقرقر بطنه" .

وفي رواية يحيى قال: "كان عمر ﷺ يأكله، فلما قل قال: " لا آكله حتى يأكله الناس" قال: فكان يأكل الزيت فيقرقر بطنه ".

وقال ابن مكرم في روايته: " فقال: " قرقر ما شئت فوالله لا آكل السمن حتى يأكله الناس". ثم قال لي: "اكسر حره عني بالنار ". فكنت أطبخه له فيأكله". رواه البيهقي في الكبرى.

وعن السائب بن يزيد يقول: لما كانت الرمادة أصاب الناس جوع شديد، فلما كان ذات يوم ركب عمر بن الخطاب ﷺ دابة له، فرأى في روثها شعيرا فقال: "والله لا أركبها حتى يحسن حال الناس" رواه البيهقي في الكبرى.

عن أبي عثمان، قال: «لما قدم عتبة أذربيجان بالخبيص فذاقه فوجده حلوا»، فقال: لو صنعتم لأمير المؤمنين من هذا، قال: فجعل له سفطين عظيمين، ثم حملهما على بعير مع رجلين فبعث بهما إليه، فلما قدما على عمر قال: أي شيء هذا؟ قال: هذا خبيص، فذاقه فإذا هو حلو، فقال: أكل المسلمين يشبع من هذا في رحله؟ قالوا: لا، قال: فردهما، ثم كتب إليه: أما بعد، فإنه ليس من كدك ولا من كد أبيك، ولا من كد أمك أشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك " رواه ابن أبي شيبة واصله في مسلم.

قال القاضي عياض في إكمال المعلم (586/6) "وقوله: " فأشبع المسلمين فى رحالهم مما تشبع به فى رحلك ": يعنى: إدرار أرزاقهم، وقسم مال الله عليهم ولا يؤثر نفسه عليهم بلين العيش ولا كثرة مأكول".

الصفة الرابعة عشر: استقبال وتشييع الغزاة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مشى معهم رسول الله ﷺ، إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم وقال: «انطلقوا على اسم الله» وقال: «اللهم أعنهم - يعني النفر الذين وجههم إلى كعب بن الأشرف -» رواه أحمد.

وعن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن ابي حازم أو غيره قال: «بعث أبو بكر جيشا إلى الشام فخرج يشيعهم على رجليه فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ، أن لو ركبت، قال: أحتسب خطاي في سبيل الله» رواه ابن ابي شيبة.

وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: «لما قدم النبي -ﷺ- المدينة من غزوة تبوك تلقاه الناس فلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع» رواه البخاري وأبو داود واللفظ له وبوب عليه البخاري (باب استقبال الغزاة).

الصفة الخامسة عشر: التوثق عند التكليف بالإمارة:

عامر بن شقيق، أنه سمع أبا وائل، يقول: "استعملني ابن زياد على بيت المال فأتاني رجل منه بصك فيه: أعط صاحب المطبخ ثمانمائة درهم، فقلت له: مكانك ودخلت على ابن زياد فحدثته فقلت: إن عمر استعمل عبد الله بن مسعود على القضاء وبيت المال، وعثمان بن حنيف على ما يسقي الفرات، وعمار بن ياسر على الصلاة والجند، ورزقهم كل يوم شاة فجعل نصفها وسقطها وأكراعها لعمار بن ياسر لأنه كان على الصلاة والجند، وجعل لعبد الله بن مسعود ربعها، وجعل لعثمان بن حنيف ربعها ثم قال: إن مالا يؤخذ منه كل يوم شاة إن ذلك فيه لسريع قال ابن زياد: ضع المفتاح واذهب حيث شئت " رواه البيهقي في السنن الصغير (2987).

وعن الأحنف بن قيس، قال: "قدمت على عمر بن الخطاب ﷺ فاحتبسني عنده حولاً، فقال: "يا أحنف قد بلوتك وخبرتك، فرأيت أن علانيتك حسنة، وأنا أرجو أن تكون سريرتك على مثل علانيتك، وإن كنا لنُحَدّث بما يُهلك هذه الأمة كل منافق عليم" رواه أبو بكر الإسماعيلي (مسند الفاروق 75/3).

وعن الأحنف بن قيس: أنّه قدم على عمر ﷺ فاحتبسه حولاً ثم قال: "أتدري لِمَ احتبستك؟ "، إن رسول الله ﷺ خوفنا من كلّ منافق عليم اللسان، ولست منهم" (مسند الفاروق 75/3).

سالم عن أبيه أن عمر لما نزع شرحبيل بن حسنة قال: حدثنا عمر عن سخطة نزعتني؟ قال: لا، ولكنا رأينا من هو أقوى منك فتحرجنا من الله أن نقرك وقد رأينا من هو أقوى منك، فقال له شرحبيل: فأعذرني، فقام عمر على المنبر فقال: كنا استعملنا شرحبيل بن حسنة ثم نزعناه من غير سخطة وجدتها عليه، ولكنا رأينا من هو أقوى منه، فتحرجنا من الله أن نقره وقد رأينا من هو أقوى منه، فنظر عمر من العشي إلى الناس وهم يلوذون العامل الذي استعمل، وشرحبيل يجيء وحده فقال عمر: ما الدنيا؟ فإنها لكاع" رواه ابن أبي شيبة (30569).

روى أبو نعيم في الحلية (25/10) عن هشام بن عروة عن أبيه عن عاصم بن عمر قال: قال عمر: «من حرص على الإمارة لم يعدل فيها».

عن عمر بن الخطاب أنه قال يوما لمن حوله: تمنوا، فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبا فأنفقه في سبيل الله ثم قال: تمنوا، فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤا أو زبرجدا أو جوهرا، فأنفقه في سبيل الله وأتصدق، ثم قال عمر: تمنوا، فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين، قال عمر: «أتمنى لو أنها مملوءة رجالا مثل

أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وحذيفة بن اليمان» رواه أحمد في فضائل الصحابة (1280).

روى أبو عبيدة القاسم بن سلام في كتاب الأموال عن عمر ﵁ قال " والله ما آلو أن أختار خياركم".

وروى مسلم ان عمر بن الخطاب ﵁ خطب يوم الجمعة فقال: اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار، وإني إنما بعثتهم عليهم ليعدلوا عليهم، وليعلموا الناس دينهم، وسنة نبيهم ﷺ، ويقسموا فيهم فيئهم، ويرفعوا إلي ما أشكل عليهم من أمرهم".

عن أبي عثمان النهدي، قال: استعمل عمر بن الخطاب ﵁ رجلا من بني أسد على عمل فجاء يأخذ عهده، قال: فأتى عمر ﵁ ببعض ولده فقبله، قال: أتقبل هذا؟ ما قبلت ولدا قط. فقال عمر: "فأنت بالناس أقل رحمة، هات عهدنا، لا تعمل لي عملا أبدا " رواه البيهقي في السنن الكبرى.

عن الأسود بن يزيد، قال: كان الوفد إذا قدموا على عمر ﵁ سألهم عن أميرهم، فيقولون خيرا، فيقول: هل يعود مرضاكم؟ فيقولون: نعم، فيقول: هل يعود العبد؟ فيقولون: نعم، فيقول: كيف صنيعه بالضعيف؟ هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخصلة منها: لا، عزله" رواه ابن جرير في تاريخه.

الصفة السادسة عشر: متابعة الأمراء والجند والأعمال:

روى إسحاق عن عبد الله بن بريدة أن عمر ﵁ جهز جيشا، واستعمل عليهم أبا موسى الأشعري ثم قال: انظر ربيع بن زياد فإن يك صادقا فيما قال فإن عنده

عونا على هذا الأمر، فاستعمله ثم لا يأتين عليك عشر إلا تعاهدت منه عمله، وكتبت إلي بسيرته في عمله، حتى كأني أنا الذي استعملته".

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى حرة واقم، حتى إذا كنا بصرار إذا نار، فقال: يا أسلم، إني لأرى ها هنا ركبا قصر بهم الليل والبرد، انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم، فإذا بامرأة معها صبيان صغار وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، وكره أن يقول: يا أصحاب النار، فقالت: وعليك السلام، فقال: أدنو؟، فقالت: ادن بخير أو دع، فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد، قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع، قال: فأي شيء في هذه القدر؟ قالت: ما أسكتهم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر، فقال: أي رحمك الله، وما يدري عمر بكم؟ قالت: يتولى عمر أمرنا ثم يغفل عنا. قال: فأقبل علي فقال: انطلق بنا، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلا من دقيق وكبة من شحم، فقال: احمله علي، فقلت: أنا أحمله عنك، قال: أنت تحمل عني وزري يوم القيامة لا أم لك؟ فحملته عليه فانطلق، وانطلقت معه إليها، نهرول، فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئا، فجعل يقول لها: ذري علي، وأنا أحرك لك، وجعل ينفخ تحت القدر ثم أنزلها، فقال: أبغيني شيئا، فأتته بصحفة فأفرغها فيها ثم جعل يقول لها: أطعميهم وأنا أسطح لهم، فلم يزل حتى شبعوا، وترك عندها فضل ذلك، وقام وقمت معه، فجعلت تقول: جزاك الله خيرا، كنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين، فيقول: قولي خيرا إذا جئت أمير المؤمنين، وحدثيني هناك إن شاء الله، ثم تنحى ناحية عنها ثم استقبلها فربض مربضا، فقلنا له: إن لنا شأنا غير هذا، ولا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ثم ناموا وهدأوا، فقال: يا

أسلم، إن الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت" رواه أحمد في فضائل الصحابة.

الصفة السابعة عشر: تعريف العرفاء وتوزيع الأعمال:

عن جابر بن عبد الله قال: " لما ولي عمر ﷺ الخلافة فرض الفرائض، ودون الدواوين، وعرف العرفاء، وعرفني على أصحابي " رواه البيهقي في السنن الكبرى.

عن المسور بن مخرمة أخبراه أن رسول الله ﷺ، قال حين أذن لهم المسلمون في عتق سبي هوازن: «إني لا أدري من أذن منكم ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم»، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبروه أن الناس قد طيبوا وأذنوا" رواه البخاري(7176).

عن أبي مجلز: أن عمر بن الخطاب، بعث عمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وعثمان بن حنيف، إلى الكوفة، فجعل عمارا على الصلاة والقتال، وجعل عبد الله بن مسعود على القضاء، وعلى بيت المال، وجعل عثمان بن حنيف على مساحة الأرض" رواه عبد الرزاق (10128).

الصفة الثامنة عشر: المبادرة بالأعمال وعدم تأجيلها:

قال عمر بن الخطاب: القوة في العمل ألا تؤخر عمل اليوم لغد، والأمانة ألا تخالف سريرة علانية، واتقوا الله عز وجل، فإنما التقوى بالتوقي، ومن يتق الله يقه. رواه ابن جرير في تاريخه.

عن الضحاك، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى: «أما بعد، فإن القوة في العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد، فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم

الأعمال، فلم تدروا أيها تأخذون فأضعتم، فإذا خيرتم بين أمرين أحدهما للدنيا والآخر للآخرة، فاختاروا أمر الآخرة على أمر الدنيا، فإن الدنيا تفنى، وإن الآخرة تبقى، كونوا من الله على وجل، وتعلموا كتاب الله؛ فإنه ينابيع العلم، وربيع القلوب» ابن أبي شيبة.

قيل:

فلا تبق فعل الصالحات إلى غد لعل غدا يأتي وأنت فقيد

عن الحسن البصري رحمه الله قال: "إياك والتسويف فإنك بيومك ولست بغدك قال: فإن يكن غد لك فكس فيه كما كست في اليوم، وإلا يكن الغد لك لم تندم على ما فرطت في اليوم " رواه هناد في الزهد (502).

قال ابن حزم في رسائله (402/1): "قلما رأيت امرأً أمكن فضيع إلا فات فلم يمكن بعد".

أثر ذو فوائد عظيمة: روى المعافى بن عمران في الزهد عن عبد الرحمن بن سابط، قال: أرسل عمر بن الخطاب إلى سعيد بن عامر الجمحي، فقال: إنا مستعملوك. فقال: اتق الله يا عمر، ولا تفتني. فقال: والله لا أدعكم، جعلتموها في عنقي، ثم تخليتم عني، إني إنما أبعثك على قوم لست بأفضلهم، ولست أبعثك عليهم لتضرب أبشارهم، ولا تنتهك أعراضهم، ولكنك تجاهد بهم عدوهم، وتقسم فيهم فيئهم. قال: اتق الله يا عمر، ولا تفتني، وأقم وجهك وقضاءك لمن استرعاك الله من قريب المسلمين وبعيدهم، ولا تقصر في أمر واحد قضاءين، فيختلف عليك أمرك وتزيغ عن الحق، والزم الأمر والحجة يعينك الله على ما ولاك، خض الغمرات

إلى الحق حيث علمته، ولا تخش في الله لومة لائم. قال عمر: ويحك، من يطيق هذا يا سعيد بن عامر؟ قال: من قطع الله في عنقه مثل الذي قطع في عنقك، إنما عليك أن تأمر فيطاع أمرك أو يترك، فتكون لك الحجة".

عن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا بعث عماله شرط عليهم: «ألا تركبوا برذونا، ولا تأكلوا نقيا، ولا تلبسوا رقيقا، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة»، قال: ثم شيعهم، فإذا أراد أن يرجع قال: «إني لم أسلطكم على دماء المسلمين، ولا على أعراضهم، ولا على أموالهم، ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة، وتقسموا فيئهم، وتحكموا بينهم بالعدل، فإن أشكل عليكم شيء، فارفعوه إلي، ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها، ولا تجمروها فتفتنوها، ولا تعتلوا عليها فتحرموها، جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، انطلقوا وأنا شريككم» رواه معمر في جامعه.

خاتمة: وصية الشيخ إبراهيم الربيش – رحمه الله – للأمراء:

أيها الأمير؛ تذكر أنك تعمل لدين ،الله فتجرد من حظوظ نفسك وليكن شعارك دائما ما كان أرضى لله فهو أحب إلي، والحذر الحذر من أن يكون العمل خاضعا لمصالحك ورغباتك، وإياك أن تلبس رغبات نفسك لبوس المصلحة العامة، فتتظاهر بمظهر الناصح الأمين وأنت الأناني المقيت فإنه لا يفعل ذلك إلا من كان في نيته خلل واحتسب الأجر في كل صغير وكبير فإنك لا تدري بما تدخل الجنة.

وراقب نفسك فإن هي أحبت الإمارة وارتاحت إليها فاعلم أنك على خطر عظيم فما أحب الإمارة مخلص فإن حب الإمارة إذا تمكن منك أفسد دينك وحولك من مجاهد في سبيل الله إلى مجاهد في سبيل هواك ولقد شبه الرسول ﷺ حب

الإمارة بالذئب الجائع يفسد الغنم فقال ﷺ " ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه" رواه الترمذي.

فإن كان دينك عليك عزيزا فاحذر عليه خطر الذئاب الجائعة فإنها شديدة الفتك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بيت المقدس